

رسالة جامعية

# ذكر الله تعالى

بين  
الاتباع والابتداع

إعداد

عبد الرحمن بن محمد بن خليفه

دار طبع و نشر  
مكة المكرمة

مكة المكرمة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

صفر ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

دار طبع و نشر  
مكة المكرمة

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ص ب : ٦٩٥٨  
هاتف : ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس : ٥٥٢٢٩٨٦



## هذا البحث

هو عمل نال به الباحث درجة الماجستير من جامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين من قسم العقيدة.

قالوا عنه في قاعة المناقشة:

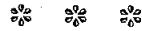
(نحن بين يدي رسالة في غاية الأهمية، والأخ الباحث قد بذل جهداً مشكوراً فيها ورجع إلى مصادر أصلية وكثير منها غير متناول في الأيدي، وناقشها مناقشة علمية، ووفق أيما توفيق في اختيار الموضوع... وهذا من توفيق الله ﷻ له، لأن الإنسان إذا بذل عدة سنوات في قضية ودراسة مسألة من المسائل التي ينتفع بها وينفع بها الأمة فإن هذا من نعم الله ﷻ عليه التي تستوجب على الباحث وعلى من وفق لهذا البحث الشكر والقيام بحقها...).

المناقش الأول للبحث د. عبد الله بن عمر الدميحي



(الطالب في تناوله لهذا الموضوع أعتقد أنه أجاد وأفاد، فقد تناول موضوعاً كهذا وهو على ما يبدو يحمل أدوات البحث جيداً...).

المناقش الثاني للبحث د. عبد العزيز بن عبد اللطيف

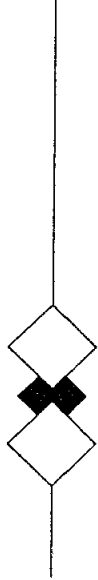


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين أعدها عبد الرحمن محمود خليفة بإشراف سعادة الدكتور عبد الشكور محمد العروسي وناقشها فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي وفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف



[ اللَّهُمَّ اَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ  
وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ]



## اعتذار

اللهم إني أستغفرك بما يوازي غفرتي عن ذكرك، ولك كل شكري وإن كان لا يوافي بعضاً من حلمك ونعمك، اللهم لا تجعلني مقيماً بوادي الغافلين يشير إلى ربوة الذاكرين، ولا تجعلني ممن يقول هذا خطأ وهذا صواب، وهو ليس هناك.

اللهم إني ما رغبت في الإساءة إلى أحد بقدر ما رغبت في النصيح لك ولنبيك ولدينك وللمسلمين، وإني لأعتذر لمن مسست له خاطراً من الذاكرين بسبب تداخل مسالك المُحدثين، في خلطهم الغث بالسمين، وأعتذر فيما لم يحالفني فيه التوفيق من أسلوب أو رأي، بيد أنني لو ظفرت برضاء الله ما باليت، والله من وراء القصد.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



## كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أبوء له بنعمه ولا أستقصي، وأثني عليه ولا أحصي، فالشكر كلّ له أوّله وآخره، وظاهره وباطنه، ثم إنه كان من لطفه وتدبيره وتيسيره سبحانه، أن هيئ لي ذوو فضل من خلقه، كانت لهم أيادٍ بيضاء عليّ وعلى عملي هذا، فكان من حقهم عليّ بعد شكر الله، أن أذكر لهم فضلهم وفي مقدّماتهم، والداي أجزل الله لهما جزاء الخير، ثم لبيت العلم ورحابه جامعة أم القرى، ممثلة في إدارتها ومسؤوليها لتهيئتهم لي ولزملائي المناخ العلمي والشكر موصول لكلية الدعوة وأصول الدين بقسميها - الدعوة - و - العقيدة - ثم إني أخصّ بالأوفى من الشكر شيخي وأستاذي الدكتور عبد الشكور محمد العروسي، الذي أشرف على بحثي هذا، ولمناقشي هذا البحث: د. عبد الله بن عمر الدميحي، ود. عبد العزيز المرشدي، اللذين استفدت منهما. ومن أهل الفضل عليّ رابطة العالم الإسلامي ممثلة في أمانتها ومسؤوليها سيما إدارة التعليم، فلهم شكري ودعائي، ثم إني لا أنسى كل من أسهم معي في هذا البحث بنصح أو إرشاد، أو عون من أساتذتي، وزملائي، وأصدقائي، وأخصّ بالذكر الزميل العزيز الأستاذ/ عبده محمود زايد الرقباتي، وللجميع مني أوفر الشكر وأصدق الدعاء، ثم عوداً على بدء فكلّ ذلك من الله، فله الحمد سبحانه بما هو أهله، وصلّى الله وسلّم على نبيّ الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلّم.

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموجد من العدم، والمغدق على خلقه بالتعم، خلق الخلق لما شاء، ويسرهم على وفق العلم عنده والمراد، لا على وفق الأهواء عندهم والأغراض، فبعث إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً ليبين لهم القويم من الصراط، والصلاة والسلام على نبينا محمد نبي الهدى والرحمة الذي كشف الله به الغمة ونسخ بشريعته كل شريعة، وعم برسالته الأمة، فلم يبق لأحد حجة دون حجته، ولا استقام لعاقل طريق سوى محجته، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الأطهار، ومن اقتفى أثرهم وعلى نهجهم خطا وسار ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فلا ريب أن ذكر الله ودعائه هو خير ما شُغلت به الأعمار، وأزكى ما حوته الأعمال، وأنفع ما صُرِفَتْ فيه الأنفاس، وأفضل ما تقرَّب به العباد إلى ربهم ومولى نعمتهم سبحانه وتعالى، ولهذا أصبح للذكر والدعاء المنزلة العالية في الدين والمكانة الخاصة في حياة سيدِّ الذاكرين ﷺ، وقد دلَّ الكتاب والسنة وأثار السلف على جنس المشروع والمستحب في ذكر الله ودعائه كما هو هدي الشريعة في سائر العبادات، وبين النبي ﷺ لأُمَّته ما ينبغي أن يقولوه من ذكرٍ ودعاء في الصباح والمساء وقبل الشروع في بقية العبادات وفي أثنائها وفي أعقابها وفي آناء الليل وأطراف النهار، وفي كلِّ شؤونهم ولكل ما يعرض لهم من أحوال.

ولقد أولى المسلمون هذا الجانب الاهتمام البالغ والعناية الفائقة، تمثل ذلك فيما يأتي:

١ - إبراز أهل التفسير لما يتعلق بالذكر والدعاء من مكانة وفضل وأثر ضمن تفاسيرهم.

٢ - تخصيص أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد من أهل الحديث، كتباً وأبواباً للأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ضمن مروياتهم للسنة.

٣ - أفراد كثير من أهل العلم للأذكار والأدعية في مصنفات مستقلة، ميوّبة على ما تقال فيه من أحوال، وأوضاع، وأزمنة، وعوارض، ككتاب (الأذكار) للنووي وهو من أجمعها، وكتاب (الوابل الصيّب) لابن القيم، والذي تميّز بتعدد آثار الذكر وفوائده حتى جاوز بها السبعين، وغير ذلك من الكتب الكثيرة السابقة واللاحقة لهما في هذا الاتجاه.

❖ ومن الدراسات المعاصرة، فيما اطلعت عليه ما يأتي:

١ - كتاب (السنن والمبتدعات) المتعلقة بالأذكار والصلوات، لمحمد بن عبد السلام الشقيري، وهو كتاب جمع فيه مؤلفه رحمه الله، جملة من الأذكار والأدعية المأثورة ومن رغائب النوافل والصلوات، ثم أتبع ذلك بالمبتدعات في الأذكار والأدعية والصلوات من المكذوبات والموضوعات، وما لا يصح من ذلك، بالإضافة إلى بعض الممارسات التي كانت معروفة في مجتمعه، من الاعتقادات الفاسدة، والعادات المخالفة للدين، وهو كتاب مهم؛ لأنه جمع واستقصى، لكنه كتاب تصنيف، فهو لم يناقش أساس الابتداع في هذه الناحية، ولم يقف مع مفهوم المبتدعة، ولم يتعرّض لتحرير المنهج الفارق بين الاتباع والابتداع في الذكر، إلى غير ذلك من المباحث المهمة.

٢ - بحث بعنوان (الدعاء في ضوء الكتاب والسنة) لجهاد محمد بونجا تنجونج، رسالة ماجستير من قسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى، يقول الباحث عن الدعاء: (هي عبادة عظيمة ذُكرت في كتب التفسير والحديث، والتوحيد، والتصوّف والأذكار، ولذلك فموضوعها يحتاج إلى

جمع ما تبعث من جوانبه المتعددة في شتى المصادر<sup>(١)</sup>. تحدّث الباحث في رسالته عن إطلاقات الدعاء في القرآن، وعن مشروعية الدعاء، وعن أثر الدعاء وفوائده، وعن إيجابته، وحالات الرجاء، وآداب الدعاء، وهو لم يتطرّق إلى الابتداع ولا إلى الذكر إلا عرضاً، فضلاً عن تحرير المنهج فيه أو مناقشة المبتدعة وكشف مفهومهم، ومصادرهم ومآربهم وغير ذلك.

وبالمقابل، فقد كان لأهل الأهواء المتنكبين عن هدي الشارع، كان لهم منحى آخر في فهم الذكر وفي ممارسته بل وفي جنسه، ولهم مؤلفات كثيرة تحمل منهجهم المنحرف وتؤصل للابتداع في الذكر والدعاء بشتى الصور.

❖ اختياري لهذا الموضوع وهدفي من البحث ما يأتي:

وسبب اختياري لهذا الموضوع هو أنني لم أر في حدود علمي من أفراد بالبحث موضوع الذكر، وما ألحقه به المبتدعة من غيبش في الفهم والممارسة والمسلك، بل والإضافة فيه بما يكون بديلاً عن المشروع، مع ما في هذا المنحى من خطورة، فقد رأيت أن التصدي له واجب وقربة إلى الله ونصرة لدينه. ومع علمي بقلّة بضاعتي وضعف همّتي وددت أن يكون لي إسهام في معالجة هذا الموقف، وذلك لأن القرب لا يؤثر بها أحدٌ غيره، وقد دفعتنني هذه الرغبة إلى الإسهام بجهد المُقلِّ في تحرير المنهج الصحيح لذكر الله والوقوف مع المخالفين في ذلك بالمناقشة والتقويم، واخترت لبخني عنواناً هو (ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع)، وخطّتي في هذا البحث ومنهجي فيه هو على النحو الآتي:

❖ الخطة:

وتشتمل على مقدمة، وهي هذه التي أنا بصددّها، يليها تمهيد مكوّن من

(١) انظر البحث (رسالة ماجستير) غير المطبوع، بعنوان: «الدعاء في ضوء الكتاب والسنة» ص ٩ لجهاد تنجونج مقدم عام ١٤٠٠هـ - ١٤٠١هـ، في المكتبة المركزية لجامعة أم القرى، برقم (٣٠٨).

مبحثين، الأول: تحدّثت فيه عن كمال الدين الإسلامي وتمام البلاغ به، وشمولية وسعة الذكر الشرعي، والثاني ضمّنته التعريف بمفردات الموضوع - الذكر - الاتباع - الابتداع - لغةً واصطلاحاً ومفهوماً، وأتبع ذلك بتسعة فصول في بابين، ثم أنهيت البحث بخاتمة، وعدد من الفهارس.

وأما البابان: فقد قسّمتهما بين شقّي الموضوع، الذكر الشرعي، والذكر البدعي، وذلك على النحو الآتي:

❖ **الباب الأول: الذكر الشرعي، ضوابطه وآثاره ومصادره، وفيه أربعة فصول، وهي:**

**الفصل الأول:** مفهوم الذكر الشرعي وضوابطه وآدابه، وضمّنته مبحثين، الأول: المفهوم الشرعي للذكر، والثاني: ما هو الذكر الشرعي وكيف يكون الذكر شرعياً.

**الفصل الثاني:** تحقيق الذكر للتوحيد، وقد بيّنت فيه كيف أن الذكر يحوي التوحيد بأنواعه وأقسامه، ويحقّقه على أتمّه.

**الفصل الثالث:** آثار الذكر الشرعي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، وهي أثره في حق الله، عرّفت فيه بماهية حق الله، ثم بيّنت مكانة الذكر في تحقيقه، وأثره في حق الأمة، وبيّنت فيه أثر الذكر الشرعي في معاش المسلمين ومعادهم أفراداً وأمة، وأثره في حق الرسالة الإسلامية بيّنت فيه ما يعنيه التقيّد بالوارد بالنسبة لها.

**الفصل الرابع:** مصادر الذكر الشرعي، دراسة وتقييماً، ذكرت فيه مصادر الشريعة الإسلامية، ثم عقّبت بوقفة مع كل مصدر، لبيان وجه مصدريته للأدكار.

❖ **الباب الثاني: الذكر البدعي، مفهومه ونشأته وآثاره ومصادره، وفيه خمسة فصول، وهي:**

**الفصل الأول:** مفهوم الذكر البدعي وسمّاته، وضمّنته مبحثين، الأول:

بيّنت فيه كيف يكون الذكر بدعيّاً، والثاني: تحدّثت فيه عن مفهوم المبتدعة للذكر وناقشتهم.

**الفصل الثاني:** نشأة الذكر البدعي وتطوّره، تحدّثت فيه عن أساس نشوء الابتداع في الذكر، ثم ذكرت المراحل الرئيسية في تطوّره، وفق التسلسل التاريخي في تقديري.

**الفصل الثالث:** نماذج من الأذكار المبتدعة مع النقد، وهي:

١ - نماذج من أذكار الصوفية مع النقد.

٢ - نماذج من أذكار الرافضة مع النقد.

٣ - نموذج من غير ما ذكر مع النقد.

**الفصل الرابع:** آثار الذكر البدعي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول: أثره في حق الله، والثاني: أثره في حق الأمة، والثالث: أثره في حق الرسالة والرسول ﷺ.

**الفصل الخامس:** مصادر الذكر البدعي، دراسة، وتقويماً ونقداً، تكلمت فيه عن مصادر المبتدعة في أذكارهم، ثم عقّبت بوقفة نقدية لمصادرهم، فيما إذا كانت مما يعتمد عليه، وقد بيّنت الصواب بالدليل، وأقوال أهل العلم.

**الخاتمة:** وذكرت فيها بإيجاز نتائج البحث كعناصر، وأبرز النقاط.

ثم أتبع ذلك بالفهارس العامّة للبحث.

❖ **ومنهجي في البحث كالآتي:**

١ - رقّمت الآيات الواردة في البحث، مع عزوها إلى سورها.

٢ - عزّوت الأحاديث إلى من خرّجها، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بهما أو بأحدهما، وإن كانت في غيرهما من كتب السنن، عزّوتها إلى من خرّجها وبيان حكم العلماء عليها غالباً.

٣ - رجعت لأقوال المخالفين، إلى مصادرهم الأصلية غالباً، وإن لم يتيسر

## التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كمال الدين الإسلامي وشمولية الذكر الشرعي.

المبحث الثاني: التعريف بمفردات الموضوع: الذكر - الاتباع - الابتداع.

لي ذلك، فأنقل عمن نقل عنهم وأذكر مرجعها الأصلي، الذي أخذ منه من نقلت عنه.

- ٤ - تعاملي مع النصوص المنقولة بطريقتين، إذا تصرفت في النص بالزيادة أو النقص، أو بالتغيير في الصياغة، أحلت إليه في الهامش، بـ: انظر، وإذا لم أتصرف في النص المنقول من أي وجه، أحلت في الهامش بذكر الكتاب مباشرة، وإذا حذف شيئاً من النص المنقول أضع النقط إشارة إلى الحذف في مكانه، ثم أحيل إلى الكتاب مباشرة كما وصفت.
- ٥ - أفصل بين الكلام والكلام الآخر من المنقول وغيره، بأن أضع نقطة في نهاية الأول، وأبدأ بالثاني من بداية السطر التالي، غالباً.
- ٦ - ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، ترجمة موجزة، عند أول ورود للعلم، وكذلك بالنسبة لتوثيق المرجع.

❖ أما هدفي من البحث فهو ما يأتي:

- ١ - ابتغاء مرضاة الله ونصرة دينه.
- ٢ - إعانة الراغبين في ذكر الله إلى مظانّ مرضاة الله ومراده فيه.
- ٣ - بذل النصح إلى المخطئين في فهم مكانة الذكر وممارسته.
- ٤ - إقامة الحجّة على المعاندين بمناقشتهم وإطالة النفس معهم.
- ٥ - تنبيه الغافلين منهم إلى خطورة ما يفعلون على أنفسهم وعلى دين الإسلام.

هذا ما كان من اختيار الموضوع، وأهميته وخطه بحثه والهدف منه، وما أتبع فيه من منهج، وفي كل ذلك ما كان من صواب فهو من الله، وما كان من خلل أو زلل فهو مني ومن تقصيري، وأسأل الله أن يجبر الكسر ويتمّ النقص، ويجعل العمل له وإعلاء ذكره، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد نبيّ الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه وسلّم.

\*\*\*



## كمال الدين الإسلامي وشمولية الذكر الشرعي

### المطلب الأول

#### كمال الدين الإسلامي وتمام البلاغ به:

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يختم رسالاته إلى البشرية، فجعل ذلك برسالة الإسلام، ونبى الإسلام محمد ﷺ ختم تتابع الأنبياء والرسل، فلا نبى بعده ولا رسالة بعد رسالته، وقد فضل الله هذا النبى على كل من سبقه من الأنبياء والرسل وجعل رسالته خاتمة خالدة مهيمنة، وفضلها على غيرها وميزها بأمر، ومن أجل ما ميزها به الكمال، وامتن الله به على أهلها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>، هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحل، ولا حرام إلا ما حرم، ولا دين إلا ما شرع<sup>(٢)</sup>.

وكمال هذا الدين في كونه لا يحتاج إلى مزيد، ولظهوره على الأديان كلها وغلبته لها ولكمال أحكامه التي يحتاج إليها، وشموله لكل مصالح الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١٢/٢ لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، المكتبة التجارية، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٦/٢ - ١٧، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ترتيب وتعليق سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز.

وهذا الدين الكامل كافل للهداية في الدنيا وضامن للنجاة في الآخرة، ولذلك فالتدين به لا يتأتى إلا بالاستسلام الكامل له والانقياد لهديه دون التعاطي عليه بزيادة أو نقص؛ لأن (كتاب الله وسنة رسوله لم يتركا في سبيل الهداية قولاً ولا أبقيا لغيرهما مجالاً يعتد به فيه؛ وإن الدين - بهما - قد كمل والسعادة الكبرى فيما وضع، وكل مطلوب فيما شرع وما سوى ذلك مما خالفهما فضلال وبهتان وإفك وخسران، وأن العاقد بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى ظافر بكل الخير دنيا وأخرى، قام على صحة ذلك البرهان الذي لا شبهة فيه)<sup>(١)</sup>، كما قال ﷺ: «... تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟»<sup>(٢)</sup>.

والله سبحانه وتعالى الذي أنزل الدين على نبيه محمد ﷺ كاملاً متضمناً لكل الأحكام والشعائر والأوامر والنواهي التي شاء أن يختم بها رسائله إلى البشر، قد أمر سبحانه محمداً ﷺ أن يفضي إلى الأمة بكامل هذا الدين، وذلك لأن البقاء أرادته الله للدين لا لمحمداً، كما قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِنَشْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَآيِنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، مهمتك يا محمد البلاغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فهنا يخاطب الله عبده محمداً بالرسالة أمراً له ببلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه أربعين ألفاً<sup>(٥)</sup>.

(١) الإبداع في مضار الابتداء ص ١٦، علي محفوظ، دار نصر للطباعة، الطبعة السابقة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، مسلم مع النووي ١٨٤/٨.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٧٨/٢.

### ❖ الزيادة والنقص في دين كامل:

تقرر بما سبق كمال الدين حكماً وواقعاً وشهد الله بذلك وأخبر ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، والنبي ﷺ بلغه إلى الأمة دون أن يكتب منه شيئاً، وأشهد على ذلك أكبر تجمّع في حياته يوم حج الناس معه قائلًا: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»، فقالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدبت ونصحت... فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس: «اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد»<sup>(٢)</sup>.

فالدين على ما رأينا من الكمال، وقد تمّ البلاغ به على هذا النحو، فماذا تعني الزيادة والنقص فيه والحالة هذه، فهما إلى جانب كونهما بدعة فهما يتضمّنان أموراً:

١ - الزيادة والنقص فيه إلى جانب كونهما بدعة فهما يعينان التنقيص من الدين.

٢ - والمقدم على ذلك مكذب الله سبحانه في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣ - وهو أيضاً كأنه يزعم أن محمداً ﷺ وحاشاه خان الرسالة وكتب منها شيء، كما قال الإمام مالك<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: (من ابتدع في الإسلام

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، نفس الموضع السابق.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤) هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن عثمان بن قتيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرة الحميري، ثم الأصبحي، مولده على الأصح في سنة ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ، وروى عن غير واحد من التابعين، وحدث عنه خلق من الأئمة، منهم: السفيانان، وشعبة، وابن المبارك، والأوزاعي، وابن المهدي، وابن جريج، والليث، والشافعي وغيرهم، توفي في ليلة أربعة عشر من صفر، وقيل: من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، وقيل: تسع وثمانين.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٣١/٨ الطبعة السلفية لمؤسسة الرسالة، والبداية والنهاية =

بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة<sup>(١)</sup>.

٤ - وقضية الزيادة والنقص في الدين هي التي أدت إلى تغيير تعاليم الأديان السابقة وتبديل معالمها إلى أن أصبحت في وضع لم تكن عليه حين كانت من عند الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ وَمَا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ❖ ماذا يعني كمال الدين؟

إن مسألة كمال هذا الدين تُعدُّ أكبر خاصية وشامة تميّزه عن الأديان السابقة، وهي التي جعلته مهيمناً عليها، ومنها يأخذ صلاحية الاستمرار وأحقية الخلود والبقاء إلى أن يشاء الله، والابتداع حرب على هذه الخاصية، وهو هدم لبناء الدين وتفتيت لعراه حتى لا يصمد أمام كرات المتربصين؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً وأماتوا فيه سنةً حتى تحيا البدع وتموت السنن)<sup>(٣)</sup>، وكمال الدين بالنسبة لأهله يعني كمال النعمة كما أخبر المولى سبحانه في قوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾<sup>(٤)</sup>، ومن حلت عليه نعمة فالواجب عليه رعايتها، ورعاية كمال الدين تكون بإبقائه على ما هو عليه دون الزيادة فيه أو النقص منه.

إذا فالدين هو بهذه المنزلة من الكمال والوفاء بحاجات البشر والصلاحية للبقاء والاستمرار، وفي نعمة كمال الدين منجاة لهذه الأمة مما شقيت به الأمم

= ٥٩٩/١٣ - ٦٠٢ طبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، تحقيق د/ عبد الله التركي.

(١) الاعتصام ٤٩/١، أي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية بمكة، مصطفى الباز، دار الفكر.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣١٩/١٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

في الزمن الماضي الذين فتحت عليهم دعوات الاتصال الخاص بالسماء وتلقي التعاليم من فوق، فالتبست عليهم الأمور واختلط الحق بالباطل، كما حدث في البيئات اليهودية والمسيحية مما شغل العقول وأهدر الطاقات، ونشر الفوضى والاضطراب، وهذه حقائق بيّنة ولكن البدعة تغض عنها الطرف<sup>(١)</sup>.

والحاصل والحالة هذه أن المبتدع في هذا الدين له جرم وشؤم، فجرمه في مناوآته لمشيئة الله في إكمال هذا الدين، ولمراده سبحانه من حفظه وإبقائه؛ إذ يقول سبحانه وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما الشؤم، فهو فيما يؤدي إليه الابتداع، من إيراد للأمة موارد الأمم السابقة التي بدلت وحرّفت كتبها، وهو إزالة لنعمة حفظ الدين التي امتن الله بها على هذه الأمة، وكأني بالذهن لا ينصرف حين يسمع قول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى اللَّهِ كُفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾<sup>(٣)</sup>، إلا إلى المبتدعة العابثين بهذه النعمة التي خص الله بها هذه الأمة.

❖ ❖ ❖

(١) انظر: العقيدة والعبادة والسلوك ص ٤٦ - ٤٨ لأبي الحسن الندوي، الطبعة الثانية،

١٤٠٣هـ، دار الفكر، الكويت.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

## شمولية الذكر الشرعي: وهي من ناحيتين

الناحية الأولى: شمولية الأذكار الشرعية لكل أحوال الإنسان وكل أوقاته وكفائتها لجميع حاجاته وإشباعها للجوانب العاطفية والنفسية والروحية لديه، كعاطفته للتعبّد وميله إلى كنف يطمئن إليه، وذلك بإشعاره بمعية الله وحمانيته، ولأوجاعه وأسقامه ومخاوفه جاءت أذكار الرقي والتعوّذ من كل الشر وكل الأشرار من الإنس كانوا أو الجنّ، بل إن شمولية الذكر جاءت لأموال الإنسان العارضة من فرح وحزن ومواساة، فقد جاء الذكر الشرعي شاملاً لهذه النواحي وتلك الأحوال شمولية أتت على كل تقلّبات الإنسان بين الأزمنة والأمكنة والأحوال، يقول ابن رجب<sup>(١)</sup> رحمته الله في ذكره لهذا المعنى من الشمولية: (وأما ما يفعله الإنسان في آناء الليل وأطراف النهار من مصالح دينه وبدنه وديناه، فعامة ذلك يشرع ذكر اسم الله عليه، فيشرع له ذكر اسم الله وحمده على أكله وشربه ولباسه وجماعه لأهله ودخوله منزله وخروجه منه ودخوله الخلاء وخروجه منه وركوبه دابّته، ويسمي على ما يذبحه من نسك وغيره، ويشرع له حمد الله على عطاسه وعند رؤية أهل البلاء في الدين أو الدنيا وعند التقاء الإخوان وسؤال بعضهم بعضاً عن حاله، وعند تجدد ما يحبه الإنسان من التعمّ واندفاع ما يكرهه من النقم، وأكمل من ذلك أن يحمد الله في السراء والضراء والشدة والرخاء ويحمده على كل حال، ويشرع له دعاء الله عند دخول السوق وعند سماع أصوات الدّيقة بالليل وعند سماع الرعد وعند نزول المطر وعند

(١) ابن رجب هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد في ٧٢٦هـ، محدث وفقه، له تصانيف منها: شرح سنن الترمذي، وجامع العلوم والحكم، وذيل طبقات الحنابلة وغيرها. انظر: الأعلام ٣/٢٩٥.

اشتداد هبوب الرياح، وعند رؤية الأهلّة وعند رؤية باكورة الثمار، ويشرع أيضاً ذكر الله ودعائه عند نزول الكرب وحدوث المصائب الدنيوية وعند الخروج للسفر، وعند نزول المنازل في السفر وعند الرجوع من السفر، ويشرع التعوّد بالله عند الغضب وعند رؤية ما يكره في منامه، وعند سماع أصوات الكلاب والحمير بالليل، ويشرع استخارة الله عند العزم على ما يظهر الخيرة فيه، وتجب التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>، فمن حافظ على ذلك لم يزل لسانه رطباً بذكر الله<sup>(٢)</sup>. وشمولية الذكر التي نعنيها هي التي حدثت بكثير ممن ألفوا في الأذكار إلى تسمية كتبهم بـ (عمل اليوم والليلة)، وذلك للتدليل على أنه ليس هناك وقت للمسلم ولا حال في ليل أو نهار لم يأت فيها من هدي الشارع ذكر، فالحمد لله الذي شرع لعباده وسيلة وصلة بينهم وبينه ليس لها انقطاع.

وآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت وقت هبوسه إذا (شرع الإسلام للمسلم أذكراً كثيرة مستغرقة كل أوقاته في ليله ونهاره صباحه ومساءه - كل - ذلك حتى يبقى العبد مرتبطاً في كل لحظة بخالفه يحتمي من كل شرّ بحماه ويتحصّن بعظمته وأسمائه ويستعين به على أمور دينه وديناه)<sup>(٣)</sup>. وإذا تصفّحنا كتب السنّة وقرأنا فيها أبواب الدعاء وجدنا أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم في كلّ حالٍ من أحواله وشأن من شؤونه لا سيما عند الكرب<sup>(٤)</sup>.

وهذه هي الناحية الأولى من شمولية الذكر الشرعي وهي الأهم، فكتاب

- (١) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.
- (٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٢٣ لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، توزيع الباز، مكة.
- (٣) مسك الختام في الذكر والدعاء بعد السلام ص ٥، أحمد بن سعيد بن خميس الأنباري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- (٤) حياة القلوب بدعاء عمّام الغيوب ص ١٢ - ١٣ لأبي السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠هـ، مطبعة دار نشر الثقافة.

## التعريف بمفردات الموضوع الذكر - الاتباع - الابتداء

المطلب الأول

### تعريف الذكر في اللغة والاصطلاح

#### ❖ الذكر في اللغة:

مصدر: ذَكَرَ يَذْكُرُ ذِكْرًا وَذُكْرًا، وهو حالة غير الإنصات والنسيان، قال في التهذيب<sup>(١)</sup>: ذكر، يقال: ما زال ذاك مني على ذكر وذُكر...

والذُكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، قال: والذكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذكر، أي لم أنسه... والذكر يأتي بمعنى الشرف والصيت، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، والحروف الثلاثة: الذال، والكاف، والراء، أصل، وذكر الشيء خلاف نسيانه، ثم حمل على الذكر باللسان، والذكر يطلق على العلاء والشريف أيضاً من باب القياس<sup>(٣)</sup>.

الذكر والذُكرى بالكسر والذكرة، كلّه خلاف النسيان، كما قيل:

أنتى ألم بك الخيال بطيفٍ ومطافه لك ذكرة وشُعُوف

الذُكرى. وقولهم: اجعله منك على ذكرٍ بمعنى، ويأتي الذكر للصيت

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٠/١٦٢ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/٣٨٥ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، طبعة دار الكتب العلمية، إيران.

الله الذي لم يفرط في شيء ما كان ليفرط في ذكر الله ويبقى فيه مساحة لمستزيد كيف وهو ذاته ذكر، فقد سماه الله ذكراً، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَمُحْفِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ووصفه الله بالذكر فقال سبحانه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُنْكِرُونَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأخبر سبحانه بأن القرآن ذكرٌ له، وذلك في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾<sup>(٣)</sup>، وبذلك أصبح المعرض عن القرآن مُعرضاً عن ذكر الله سواءً بسواء، وستة سيد الذاكرين لم تُبق في ذكر الله لقائل قولاً، ومن هذا المنطلق يكون النقاش مع الذين ضاق بهم الواسع ولم يسعهم الشامل وأخذوا يتعاطون بالزيادة في دين الله الكامل.

الناحية الثانية: شمولية الذكر الشرعي لفكر الإنسان وقلبه وجميع جوارحه، وهي تتعلق بأنواع الذكر التي لم تتعرض لها في الناحية الأولى، إذ أن الكلام هناك لم يشمل غير الحديث عن الذكر اللساني، والذكر كما سيأتي معناه في التعريف: أنواع، وستكون الإشارة هنا في شمولية الذكر الشرعي للجوارح والقلب والفكر، بحيث يكون الإنسان بكلّيته في حركاته وسكناته عابداً لله ذاكراً له امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> لا شريك لله وبذلك يُرْتَبُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٥)</sup>. فتفكر الإنسان قبل أن ينطق، وقصده قبل أن يعمل، فضلاً عن كل حركة من حركات جوارحه ومدارسته للعلم ليعلم أين أمر الله ونهيه حتى يأتي أو يذُر، وتأمله في أحكام الله وحكمه، كل ذلك عبادة إذا كان مع ذكر الله ولأجله؛ كما قال جلّ ذكره: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٦)</sup>. والكلام في الذكر وشموله من هذه الناحية متسع وطويل ولا يحسن استباقه قبل الحديث عن مفهوم الذكر الشرعي<sup>(٥)</sup>، فترجى الحديث عنه إلى ذلك الموضوع مكتفين بهذه الإشارة، مع القول بأن شمولية الذكر الشرعي كما شملت وقت المسلم وأحواله، فهي شاملة لفكره وقلبه وجوارحه.

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٢ - ١٦٣.

(٦) انظر ص ٥٥ سعة مفهوم الذكر الشرعي.

والثناء؛ كما في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(١)</sup> أي: ذي الشرف، وذكرته الشيء بعد نسيان وذكرته بلساني ويقلي وتذكرته وأذكرته غيري وذكرته كل ذلك بمعنى، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّتِي﴾<sup>(٢)</sup>، أي ذكره بعد نسيان<sup>(٣)</sup>. وفي لسان العرب: «الذكر الحفظ للشيء وتذكره، أو الشيء يجري على اللسان»<sup>(٤)</sup>.

وحاصل ما ذكره صاحب القاموس<sup>(٥)</sup> عن مادة - ذكر - دار حول نفس هذه المعاني، ومن خلال الوقوف في المعاجم على مادة دُكِرَ بكسر الذال أو بضمها أو حتى الاسم منها - ذكرى - نجد أن إطلاقاتها تتلخص في ما يلي:

١ - الذكر: ضد النسيان سواء كان بالقلب أو بالإحضار في الذهن، كما تفيد العبارة التي رددها أصحاب المعاجم (جعلته مني على ذكر)، أي لم أنسه.

٢ - الذُّكْر: بمعنى ما يجري على اللسان.

٣ - الذكر: بمعنى الثناء والشرف والضيء.

وما بقي من المعاني فهو عائد إلى هذه الثلاث ومتفرع عليها.

### ❖ الذكر في الاصطلاح:

الذكر في الاصطلاح: هو ذكر المسلم ربّه سبحانه وتعالى بالثناء عليه بما هو أهله، أو بسؤاله الحاجات والالتجاء إليه لكشف الكربات.

قال في الكلّيات: إذا أريد بالذكر الحاصل بالمصدر يجمع على (أذكار)

(١) سورة ص: الآية ١. (٢) سورة يوسف: الآية ٤٥.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢/٦٦٤ - ٦٦٥، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين.

(٤) لسان العرب ٤/٣٠٨ - ٣١٠، أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، دار صادر، بيروت.

(٥) انظر: القاموس المحيط ص ٥٠٧ - ٥٠٨، للفيروز آبادي محمد بن يعقوب، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

وهو الإتيان بألفاظ ورد الترغيب فيها، ويطلق ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كالتلاوة وقراءة الأحاديث، ودرس العلم، والنفل بالصلاة<sup>(١)</sup>.

وجاء في الكشاف: أن الذكر يجيء لمعانٍ منها: ذكر اللسان، والإحضار في الذهن وهو ضد النسيان، وحاصل المصدر ويجمع على (أذكار) وهي ألفاظ ورد الترغيب فيها والمواظبة على العمل، وذكر القلب، والجزاء والطاعة ﴿فَأَذْكُرُواْ أذْكَرْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وأوصل معاني الذكر في القرآن إلى ثمانية عشر<sup>(٣)</sup>، وكذلك في قاموس القرآن كما في الكشاف ذكر أن الوجوه التي جاءت بها كلمة ذُكِرَ في القرآن ثمانية عشرة وجهاً، ملخصها: العمل الصالح، الذُكْر باللسان، الذُكْر بالقلب، الذكر على الأمر والقصة، الحفظ، العظة، الشرف، الخبر، الوحي والقرآن، التوراة، اللوح المحفوظ، البيان، التفكر، الصلوات الخمس، صلاة واحدة، التوحيد، الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وذكر صاحب المفردات<sup>(٥)</sup> بعضاً من هذه المعاني لكنه لم يتتبع كل الوجوه، والنووي<sup>(٦)</sup> ذكره في شرحه على مسلم قال: (وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان، أحدهما: وهو أرفع الأفكار

(١) كتاب الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص ٤٥٦، لأبي البقاء أيوب الكفوي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) انظر: كشاف مصطلحات الفنون ١/٣١٨ - ٣١٩، محمد علي التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة العامة، دار الكتاب.

(٤) انظر: قاموس القرآن - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن - ١٨٠ - ١٨٣، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق عبد العزيز سيد هلال، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ١٧٩، الحسين محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني.

(٦) هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا النووي ثم الدمشقي، وُلد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وكان من الزهادة والعبادة والورع والتجري على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، توفي في ليلة أربع وعشرين في رجب سنة ستمائة وسبعين وست. البداية والنهاية ١٧/٥٣٩ - ٥٤١.

وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه، والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيتمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه<sup>(١)</sup>. وفي لوامع البيّنات: أن الذكر يكون باللسان والقلب، والجوارح، فذكر اللسان بالألفاظ الواردة، وذكر القلب بالتفكير في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف، وفي أسرار المخلوقات. أما ذكر الجوارح، فبالاستغراق في الطاعات، والخلو عن المنهيات، وعلى ذلك يأتي تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وبهذا أيضاً يصح قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> متضمناً لجميع أنواع الطاعات<sup>(٤)</sup>.

والذكر في الاصطلاح: يستعمل بمعنى ذكر العبد لربه عزّ وجلّ، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بمسألته ودعائه أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه.

ويستعمل الذكر اصطلاحاً بمعنى أخصّ من ذلك، فيكون بمعنى إنشاء الثناء بما تقدّم دون سائر المعاني الأخرى المذكورة، ويشير إلى الاستعمال بهذا المعنى الأخصّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(٥)</sup>، لجعل الآية الذكر غير الصلاة، وهذا الاستعمال الأخصّ هو الأكثر عند الفقهاء<sup>(٦)</sup>.

بهذا الاستعراض لتعريف الذكر ومعانيه الاصطلاحية من كتب

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/٩، طبعة دار الفكر ١٩٨١م.  
(٢) سورة الجمعة: الآية ٩.  
(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢.  
(٤) انظر: لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى ص ٤٨ - ٤٩، للفخر الرازي، مراجعة عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٦م.  
(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.  
(٦) انظر: الموسوعة الفقهية ٢١/٢٢٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، طباعة ذات السلاسل، الكويت.

المصطلحات وغيرها يكون المتلخص مما يطلق عليه الذكر التالي:

يطلق - على الذكر بالقلب - وعلى الذكر باللسان - وعلى الذكر بالجوارح، وأن الأصل في الإطلاق لمصطلح الذكر هو على الذكر القلبي؛ لأنه هو الحامل على ذكر اللسان وذكر الجوارح، ولكن كثرة إطلاق الذكر على الذكر اللساني جعلته هو الأسبق إلى الأفهام حين تسمع لفظة ذكر، مع أن المعول عليه في الذكر ما كان بالقلب أو باللسان ولكن بشرط حضور القلب، وبالجوارح ولكن مع حضور القلب وقصد وجه الله ومرضاته، وهذا هو المختار في تعريف الذكر ومعناه.

كما قال الشاعر:

واني لتعروني لذكراك هزّة كما انتفض العصفور بلّله القطر<sup>(١)</sup>

والشاهد أن الشاعر جعل سبب اضطراب جسمه واهتزازة مرور ذكرى المحبوبة بخاطره، وتمكّن هذه الذكرى من قلبه جعله يقول هذا البيت، ولعلّه بيت ضمن قصيدة، والحاصل أن القول والفعل يتبعان تنبه القلب وتذكره للمذكور.



(١) البيت لأبي صخر الهذلي، انظر: شرح أشعار الهذليين ٩٥٧/٢، وابن عقيل ٢/١٢٢.

## المطلب الثاني

### الاتباع لغة واصطلاحاً

#### ❖ الاتباع في اللغة:

مصدر تَبِعَ يتبع اتِّباعاً، أي مضى بالآخر، وفي معجم مقاييس اللغة: (تبع) التاء، والباء، والعين، أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التلؤ، والقفو يقال: تبع فلاناً واتبعته وتبعته إذا لحقته، والأصل واحد غير أنهم فرّقوا بين القفو واللحوق، فغيّروا البناء أدنى تغيير، قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سِبَّاً ۝٨٥﴾<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سِبَّاً ۝٨٩﴾<sup>(٢)</sup>، فهذا معناه على هذه القراءة اللحوق، ومن أهل اللغة من يجعل القراءة فيهما واحدة، والتبع هو الظل وهو تابع أبداً للشخص<sup>(٣)</sup>. فهو هنا حصر مادة - تبع - بكل تصاريف بابها على أنها لا تشذ عن معاني: التلؤ والقفو، واللحوق.

وجاء في اللسان عن تبع: تبع الشيء تبعاً، وتباعاً في الأفعال وتبعته الشيء تبوعاً سرت إثره... وضع الاتباع موضع التتبّع مجازاً... تتبّعه اتِّباعاً... وتبعته القوم تبّعاً وتبّاعة بالفتح إذا مشيت خلفهم، أو مروا بك فمضيت معهم، وقيل: اتبع الرجل سبقه فلحقه... قال -: الاتباع أن يسير وأنت تسير وراءه فإذا قلت اتبعته فكأنك قفوته<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وهنا نرى أنه جعل تصريفات مادة - تبع - تدور حول السّير بالأثر واللحوق بمن سبق والمشى خلف القوم، أو المضى مع من مرّ بك، وقال عن الاتباع أنه مصدر من الكلمة ووضع مجازاً موضع التتبّع، ومعانيه تدور على ما

(١) سورة الكهف: الآية ٨٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة ١/٣٦٢ - ٣٦٣.

(٤) لسان العرب ٨/٢٨.

ذكرنا، وبما أن التعريف اللغوي هو الإتيان بمرادف للكلمة المعرّقة، فإن ما تلخص معنا من المضامين المرادفة لكلمة تبع واتباع هو: القفو، واللحوق، والسير بالآخر، والمشى خلف من سبق، والمضى مع المارّ، والتلؤ؛ وهذه المعاني كلها تفيد الاتباع، ولعلّ هذا الكم من المترادفات يهيئ الذهن للمعنى الاصطلاحي.

#### ❖ الاتباع في الاصطلاح:

قال في قاموس القرآن: تبع على سبعة أوجه: الصحبة، والافتداء، والاختيار، العمل، الصلاة، الاستقامة، الطاعة.

١ - فوجه منها الاتباع يعني الصحبة، قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾<sup>(١)</sup> هل أصحبتك، ومثله فيها: ﴿إِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾<sup>(٢)</sup> أي صحبتني.

٢ - الثاني: الاتباع: الاقتداء، قوله تعالى في سورة يس: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْزِمُ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٣١﴾<sup>(٣)</sup>، أي: اقتدوا به.

٣ - الاتباع: الاستقامة، قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٢﴾<sup>(٤)</sup>.

الاتباع: الاختيار، قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَتَتَّبِعْ عِبْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، أي يختار غير دين الإسلام، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: يختارون... قال: السابع: الاتباع: الطاعة، قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٧)</sup>، يعني: أطعتم الشيطان، كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا قَرِيحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني: أطاعوه ونحوه كثير<sup>(٩)</sup>. وفي المفردات في غريب القرآن:

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٠.

(٣) سورة يس: الآية ٢١.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٥.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٧) سورة سبأ: الآية ٢٠.

(٨) سورة سبأ: الآية ٢٠.

(٩) قاموس القرآن - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - ص ٨٦ - ٨٧، الحسين الدامغاني، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، تحقيق سيد هلال.



قال عن تبع: يقال تبعه وأتبعه قفا أثره، وذلك تارة بالارتسام والائتمار، وعلى ذلك قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا بَأْسَ لَهُمْ بِمَا فَعَلْتُمْ وَأَتَّبِعُوا اللَّهَ يَأْتِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>... اهـ<sup>(٣)</sup>.

جاء في النهاية: ما حاصله أن التابع يكون وراء المتبوع، يطلب أثره<sup>(٤)</sup>. والاتباع كما يطلق على المشي بالأثر - حساً - فهو يطلق على العمل بكلام الغير والافتداء به، ويطلق على التمسك بالآثار المرورية دون الأخذ باستحسان الرأي ويطلق على التقليد<sup>(٥)</sup>.

وبعد هذا الاستعراض للمعاني الاصطلاحية للاتباع، أصبحت لدينا الآن إطلاقات ووجوه كثيرة لمعانيه في القرآن، ولعل كلمة تبع هي واحدة من تلك الكلمات الثرية التي قد يصعب حصر ما يرادفها من الكلمات المؤدية لنفس المعنى، فهي إن كانت تفيد في اللغة القفوّ، واللحوق، والتلوّ، والمشي بالأثر، والصحبة الخ.

فهي تفيد في الاصطلاح كما مرّ الافتداء والائتمار والالتزام والطاعة والعمل بالأثر والتقليد والارتسام... الخ ما هنالك، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ ساق الوجوه والصيغ التي جاءت بها معاني تبع في القرآن، فأوصلها إلى أربع وستين لفظة، وخلص من ذلك بأن - تبع - يتبع تعني سار وراءه سواء كان السير حسياً أم معنوياً، والاتباع المعنوي هو الافتداء والامتثال، وأكثر ما جاء في القرآن هو من الاتباع المعنوي<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ٣٨. (٢) سورة يس: الآية ٢٠ - ٢١.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٧٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١/١٧٩ - ١٨٠ لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

(٥) انظر: معجم لغة الفقهاء ص ٤٠، محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنبي، دار الفنائس، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٦) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/١٥١ - ١٥٧، إصدار مجمع اللغة العربية، =

وبهذا نخلص إلى أن معنى الاتباع هو سير المتبع وراء المتبع حساً ومعنى بالافتداء والامتثال والطاعة في القول والعمل مع عدم منازعته برأي أو استحسان، والله أعلم.



## مفهوم الاتباع

ما وصلنا إليه من المعنى الاصطلاحي للاتباع يفاد من خلاله أن على المرء حين بوّد أن يكون في مقام الاتباع، فعليه أن يسير وراء متبوعه حسّاً ومعنىً ويقنّدي به في أفعاله ويمثّل نواهيه، ويلتزم بطاعته في القول والعمل، ولا ينازعه برأيه وعقله، وعليه بقي أن نسأل من المتَّبِعِ إذا...؟

فالمُتَّبِعُ المقتدي به المطاع هو الرسول محمد بن عبد الله ﷺ؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَوَلَّوْا سَمْعُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٣)، وقوله: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَمَا ءَأَنكُمُ الرَّسُولُ فَخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٥)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت في وجوب طاعة الرسول ﷺ وأتباعه والرجوع إليه، والتحاكم إليه، والرضى بقضائه والتسليم له، والانتهاه عن نواهيه، وعدم مخالفته، وبيان أنه لا طريق توصل إلى الله إلا التي سلك؛ إذ (الطريق إلى الله عزّ وجلّ مسدود على خلق الله تعالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنّته) (٦).

ولقد جاء في السنّة النبوية أيضاً ما يؤكّد معنى الاتباع من وجوب الطاعة

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٣) سورة النور: الآية ٥٤.

(٥) سورة الحشر: الآية ٧.

(٦) تليس إبليس ص ١٩ لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، الطبعة السابعة ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي.

له ﷺ، فمن ذلك ما أخرجه البخاري (١) بسنده عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (٢)، وعن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله» (٣).

وجاء عنه ﷺ قوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد...» (٤) - وفي رواية -: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٥)، فهذه الأحاديث تؤكد الاتباع وتوضح مفهومه ومعالمه بتأكيداتها لوجوب الطاعة للرسول ﷺ والتحذير من مخالفة طريقه وسنّته وبيانها أن كل عمل لا يوافق عمل النبي ﷺ فهو مردود على صاحبه، ومن خلال هذه النصوص فإن الاتباع يكون بموافقة النبي ﷺ ومتابعته في سنّته قولاً وعملاً وتركاً، فالحلال ما أحلّ والحرام ما حرّم، والدين ما شرع والخروج عن ذلك إحداث وابتداع، وهو رد على صاحبه، ولا يشدّ عن هذا شيء مما هو دين وقربة، ظلّت العقول محجوبة

(١) وهو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: برذبه لفظه بخارية معناها الزراع الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به، وُلد في سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩١ - ٤٦٨، والبداية والنهاية ١/٥٢٦ - ٥٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، انظر: صحيح البخاري مع الفتح ١٣/٢٦٣ برقم ٧٢٨٠.

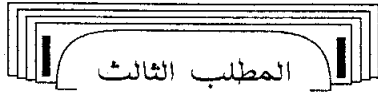
(٣) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، انظر: صحيح البخاري مع الفتح ١٣/١١٩ برقم ٧١٣٧، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله، انظر: مسلم مع النووي ١٢/٢٢٣.

(٤) الحديث أخرجه البخاري، انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٥/٣٥٥، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، برقم ٢٦٩٧، ومسلم مع النووي، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام ١٢/١٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٦.

عنه قبل نور الوحي؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا﴾<sup>(١)</sup>، يقول أبي بن كعب رضي الله عنه: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدي على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار)<sup>(٢)</sup>، فالذكر هو المنجي من النيران، والذاكر هو السابق إلى الجنان، ولكن بشرط الإخلاص والمتابعة.

\*\*\*



## الابتداع في اللغة والاصطلاح، والخلاف في البدعة

**الابتداع:** مصدر من باب الافتعال، من بدع الشيء إذا كان السابق إليه .  
وفي جمهرة اللغة: (بدع) بدعت الشيء إذا أنشأته، والله عزّ وجلّ بديع السماوات والأرض أي منشئهما... وقول العرب: لست ببدع في كذا أو كذا، أي: لست بأول من أصابه هذا، وهو من قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>، والله أعلم بكتابه، وكل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه والاسم البدعة<sup>(٢)</sup>.

وجاء في اللسان عن - بدع -: بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتدعه أنشأه وبدأه والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾، أي: ما كنت أول من أرسل، والبدعة الحدث وما ابتدع في الدين بعد الإكمال، وابتدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا، فإن مدار - بدع - التي هي أصل المصدر - الابتداع - هي على ما يلي: الابتداء للشيء، والاختراع له، والإنشاء، والشيء يكون أول، وكل ذلك من فاعله على غير مثال سابق.

وقد يكون منه ذلك بزيادة في الشيء لم تكن فيه أو بتقص مما كان عليه، وقد فصل في ذلك لسان العرب واستطرد في البدعة تكون في الدين بعد

(١) سورة الأحقاف: الآية ٩.

(٢) جمهرة اللغة ١/٢٤٥ لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ، مطبعة المعارف العثمانية.

(٣) لسان العرب ٦/٨.

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.  
(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ٤٨ لجلال الدين السيوطي، تحقيق مشهور حسن سلمان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، دار ابن القيم.

الإكمال، وذكر أقسامها وساق أدلتها وشواهدا وأتى بمنقولات لذلك<sup>(١)</sup>.  
وخلاصة القول هنا: أن الابتداع هو اختراع وابتداء وإنشاء لشيء لم  
يكن، وقد يكون بإضافة زيادة على ما كان أو بإنقاص منه، بحيث يصبح على  
غير ما كان.



## الابتداع في الاصطلاح

### ❖ الابتداع اصطلاحاً:

هو الإحداث في الدين سواء كان بالزيادة فيه أو بالنقص منه، وهذا  
الإحداث الذي يكون في الدين هو الذي عبّر عنه الشارع بأنه بدعة، ففي  
حديث العرياض بن سارية الذي ذُرفت منه عيون الصحابة ووجلت منه قلوبهم  
يقول فيه النبي ﷺ: «فعلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا  
بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ  
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ...»<sup>(١)</sup>.

فمن هنا سُمِّي كل ما يُحدث في الدين بدعة، وأصبحت البدعة علماً لما  
يُختَرع في الدين مع أنها في اللغة تطلق على كل مخترع لغير مثال سبق، سواء  
كان في الدين أو غيره. وعلى هذا يبقى أن نسال عن تعريف العلماء للبدعة  
لكي تتميز في الاصطلاح عنها في اللغة.

ففي - التعريفات - قال عن البدعة: (هي الفعلة المخالفة للسنة سُميت  
البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام)<sup>(٢)</sup>، والبدعة عبارة عن: طريقة في  
الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة  
٢٠٠/٤ - ٢٠١ برقم ٦٤٠٧، والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ  
بالسنة ٤٤/٥ برقم ٢٦٧٦، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء ١٥/١ برقم  
٤٢، وصححه الألباني في صحيح السنن. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣٤١/٢ برقم  
٢١٥٧، وصحيح سنن ابن ماجه ١٣/١ برقم ٤٠.

(٢) التعريفات ص ٤٤ للفاضل علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، ساحة  
رياض الصلح، بيروت ١٩٦٩م.

(١) انظر المصدر نفسه.

تعالى... وهذا على رأي من لا يدخل فيها العادات ويخص معنى البدعة بالعبادات<sup>(١)</sup>. وفي كشاف اصطلاحات الفنون: البدعة هي ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعة الضالة... والتي هي في الشرع: ما أحدث على خلاف الشرع ودليله الخاص والعام<sup>(٢)</sup>.

فالبدعة هي: عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه التعاريف يتلخص أن البدعة هي الطريق المبتدع المخترع - على غير مثال تقدم من الشارع؛ إذ البدعة إنما خاصتها، أنها خارجة عمّا رسمه الشارع<sup>(٤)</sup>.

والبدعة بهذا المعنى كما هو واضح هي متقابلة مع الاتباع مقابلة التعاكس والمناقضة، ذلك لأن المبتدع متبع لهواه أو هوى من أنشأ له تلك البدعة، وأما السنة فهو لها معاند وعنهما حائد وإلى غيرها متولي، ومن كان هذا شأنه فكانه اتخذ لنفسه شارعاً غير الشارع المعصوم ﷺ، الأمر الذي تاباه العقول السليمة؛ لأن الدين تسليم ومتابعة، والابتداع معاندة ومخالفة، وهو ما جاءت نصوص الشريعة بدمه والتحذير منه لأنه ابتداع وضلال في آن.

على أن هناك خلافاً قد حصل بين أهل العلم في ذم البدعة هل هو على عمومه أم أن هناك قسم من البدعة لا يناله الذم، ويكون من باب البدعة الحسنة؛ كما هو قول أحد الفريقين، ومن الأحسن هنا أن نسوق أقوال الفريقين واستدلالاتهم ليتضح لنا وجه الخلاف.

**الفريق الأول:** يرى أن البدعة تنقسم إلى قسمين مذموم ومحمود،

(١) انظر: الاعتصام ص ٣٦ - ٣٧ لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعريف محمد رشيد رضا، دار الفكر، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون ١/١٩١.

(٣) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ٨١ - ٨٢ لجلال الدين السيوطي، تحقيق مشهور حسن سلمان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، دار ابن القيم للنشر.

(٤) انظر: الاعتصام ٣٧/١.

ويأتي في مقدمة هذا الفريق الإمام الشافعي<sup>(١)</sup> كقول: (البدعة بدعتان بدعة محمودة، وبدعة مذمومة... ويقول: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهذه البدعة الضلالة).

**والثاني:** ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نَعِمَتِ البدعة هذه...<sup>(٢)</sup>، وإلى هذا الرأي يذهب ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> كقول: (والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان... وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا تتعاطى عليها، فلم يروا بفعلها بأساً، كما روي أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحداناً، وكان الرجل يصلي فيصلّي بصلاته الجماعة، فجمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب رضي الله عنه فلما خرج فرأهم قال: نعمت البدعة هذه...<sup>(٤)</sup>، فهو يرى كما يرى الشافعي انقسام البدعة إلى قسمين: محمود ومذموم، ويستدل بذات الأثر الوارد عن عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح.

ومن هذا الفريق أبو شامة<sup>(٥)</sup> صاحب كتاب (الباعث على إنكار البدع

(١) الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي، ولد بغزة سنة ١٥٠، وحمل إلى مكة، وإليه تنسب الشافعية، توفي في ٢٠٤هـ.

انظر: البداية والنهاية ١٠/٢٥١، وسير أعلام النبلاء ١٠/٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان، البخاري مع الفتح ٤/٢٩٤ - ٢٩٥ برقم ٢٠١٠.

(٣) ابن الجوزي: هو جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، البغدادي، الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الراعظ المؤرخ الأديب، المعروف بابن الجوزي، ولد ببغداد سنة ٥١١هـ أو ٥١٢هـ، وتوفي ليلة الجمعة سنة ٥٩٧هـ في داره.

انظر: شذرات الذهب ٤/٢٢٩ - ٣٣١، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥ وما بعدها، والبدية والنهاية ١٦/٧٠٦ - ٧١٠.

(٤) انظر: تلبس إبليس ص ٢٥، ٢٦.

(٥) أبو شامة، هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس =

(والحوادث)، فقد ذكر في كتابه انقسام البدعة إلى مستحبة ومستقبحة، ثم نقل قول الشافعي وما استدلل به من صنيع عمر رضي الله عنه وذكر وجه الاستدلال، بل إنه ذهب إلى أن البدعة الحسنة مجمع على جوازها، حيث قال: (فالبدع الحسنة: متفق على جواز فعلها والاستحباب لها، ورجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها، وهي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها، ولا يلزم من فعله محذور شرعي)<sup>(١)</sup>، والكلام عن الإجماع على جواز فعل البدعة الحسنة غير دقيق كما سيوضح لنا ذلك حين نعرض لوجه الخلاف في هذه المسألة.

ومن هذا الفريق أيضاً السيوطي<sup>(٢)</sup> رحمته الله، فهو يرى تقسيم البدعة إلى بدعة

= المقدسي الدمشقي الشافعي عالم جليل، ولد بدمشق في ربيع الأول سنة ٥٩٩هـ، وهو محدث ومفسر وفقه وأصولي مجتهد، ومؤرخ ونحوي، درس وأفتى، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، وله مؤلفات كثيرة، منها: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ومختصر تاريخ ابن عساكر، وتاريخ دمشق الكبير، والصغير، والوصول في الأصول، والباعث على إنكار البدع والحوادث وغيرها.

انظر: شذرات الذهب ٣١٨/٥، والأعلام ٧٠/٤.

(١) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٠ - ٢٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين صلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين، الخضير الأسيوطي، ولقبه جلال الدين لقبه به أبوه، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ، نشأ يتيماً، وحفظ القرآن وعمره ثمان سنوات، وكذلك بعض المتون في أنواع من الفنون، واشتغل بالعلم مبكراً، وتلقى على كثير من الشيوخ، منهم البلقيني، والمنأوي، وتقي الدين الشبلي وغيرهم، وسافر إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب، يقول عن نفسه: ورزقت التبحر في سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدیع على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، ولو شئت أن أكتب في كل فصل مصنفًا بأقوالها وأدلتها النقلية والعقلية لفلعت... الخ، وقد تعرض لمنازعة معاصريه، ومن أسباب ذلك أنه صرح بأنه مجدد قرنه؛ كما يقول:

وهذه تاسعة المثمين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وعد

وقد رجوت أني المجدد فيها ففضل الله ليس يجحد

ومؤلفاته حافلة وكثيرة وجامعة ومتقنة ومحروزة، وربما نيفت على الخمسمائة مؤلف، ثم إنه تجرد للعبادة، وأعرض عن الدنيا وأهلها منقطعاً إلى الله، وعمل على تحرير =

مذمومة وغير مذمومة، ونقل آراء من سبقه إلى ذلك ممن ذكرنا<sup>(١)</sup>.

الفريق الثاني: يرى أن البدعة من حيث الظم لا تنقسم، فهي ليست حسنة وقييحة، بل هي حين تكون فيما يتعلق بالدين ليس لها إلا الظم؛ لأن الدين على الاتباع والبدعة ضد ذلك، ويأتي في مقدمة هذا الفريق الإمام مالك بن أنس رحمته الله، فهو يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الفريق الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٤)</sup> رحمته الله، فهو يرى أن البدعة لا تكون إلا ضلالة، وأن النصوص التي ذممتها على إطلاقها<sup>(٥)</sup>. وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٦)</sup> رحمته الله أيضاً يرى أن البدعة لا تنقسم، وهي لا تكون

= مؤلفاته وترك الإفتاء والتدريس، وأقام في روضة المقياس ولم يتحول عنها، إلى أن مات، وكان الأغنياء والأمراء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال فيردّها، وقد توفي رحمته الله بعد أذان فجر يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ.

انظر لتراجمه في: إيضاح المكنون في النيل على كشف الظنون ١٩١/١، وصفحات متعدّدة بعدها إلى ٤٢٧، ومعجم المؤلفين ١٢٨/٥ - ١٣١، والأعلام ٣٠١/٣ - ٣٠٢.

(١) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ٨٧ - ٩١ للسيوطي، تحقيق مشهور حسن سلمان، الطبعة الثانية، دار ابن القيم ١٤١٦هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣. (٣) انظر: الاعتصام ٤٩/١.

(٤) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاب بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، ساق نسبه بهذه الصفة ابنه عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في تاريخه، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي رحمته الله سنة ٢٤١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٧٧/١١ - ٧٩، والبداية والنهاية ٣٨٠/١٤ - ٣٨١.

(٥) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ٢١٨ عبد الرؤوف محمد عثمان، طبع الإفتاء السعودية بالرياض نقلاً عن طبقات الحنابلة، دار المعرفة بيروت ٢٤١/١.

(٦) ابن تيمية هو: شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، كنيته =

ورأي هذا الفريق واضح، فهو يسير مع ما ورد من النصوص في ذم البدعة، وأنها ضلالة كلها؛ كما في قوله ﷺ: «... وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «... وشَرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>، فرأيهم أن هذا الإطلاق على عمومها ولا يستثنى من ذم البدعة شيء.

والإشكال هو في رأي الفريق الأول الذي يرى أن هذا العموم في ذم

أبو العباس، ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول بحران سنة ٦٦١هـ، ولما بلغ سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق هرباً من وجه التتار، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى وجدّه الأدنى أبو البركات صاحب التصانيف، وأبوه وأخوه، وقد بدأ يطلب العلم أولاً على أبيه وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وقد عرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، وتوسّع في دراسة العلوم وتبحّر، واجتمعت فيه صفات المجتهد، وقد ترك تراثاً عظيماً من المؤلفات، ولم يترك مجالاً من مجالات العلم إلا كتب فيه وأسهم، وقد شهد له الأقران والخصوم بسعة الاطلاع وغزارة العلم، وكان مجاهداً بالقلم والسيف، فقد شارك في معارك الدفاع عن حمى المسلمين، وكانت له مواقف في تحرير الجيوش المسلمة، وقد تصدّى بالقلم ووقف أمام الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع وأصحابها، وقد عُرف بالصبر واشتهر بالخصال الحميدة أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وقد ظهر في عصر ماجت فيه الساحة بالبدع والخرافات والشبهات، وغزيت بلاد المسلمين من قبل التتار، فشارك في التصدي لكل ذلك، وتوفي ﷺ وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، فهبّ الناس في دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشيعه، بما يصعب وصفه ويقل نظيره.

انظر: البداية والنهاية ١٣٥/١٤ - ١٣٩، وشذرات الذهب ٨٠/٦ - ٨٦، والأعلام ١٤٤/١.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٧/٤ - ١٠٨، طبع وزارة الشؤون الإسلامية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ١٤١٦هـ.

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ٤١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب خطبته ﷺ في الجمعة، انظر: مسلم مع النووي ١٥٣/٦ - ١٥٤.

البدعة ليس على إطلاقه، وأن من البدع ما هو حسن، وأبرز ما استدّلوا به هو قول عمر بن الخطاب ﷺ في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه)<sup>(١)</sup>، ووجه الاستدلال من ذلك يتلخّص في أنها لو كانت سنّة لما سماها بدعة، ولو كانت داخلة في الذم لما مدحها بقوله: نعمت البدعة، فهي بدعة حسنة.

ومن أدلتهم ما جاء في الصحيح من قوله ﷺ: «... من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده...»<sup>(٢)</sup>، ووجه الاستدلال من هذا الحديث يتلخّص في أنه نسب الاستئناس إلى المكلف، ثم وصفه بالحسن ووعده بالأجر<sup>(٣)</sup>.

ومراد هذا الفريق هو تخصيص العموم الوارد في ذم البدعة وأنها ليست كلها ضلالة، بل إن منها المحمود والمذموم<sup>(٤)</sup>.

والراجع هو ما ذهب إليه الفريق الثاني الآخذ بالأدلة الصريحة، ولأن إبقاء النصوص على عموم النهي أولى من تخصيصها، يقول شيخ الإسلام ﷺ في ذلك: (إن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» متعين، وأنه يجب العمل بعمومه)<sup>(٥)</sup>. ثم إن ما استدّل به الفريق الأول للتخصيص ليس من محل النزاع؛ لأنه ليس مما يدخل في البدعة أصلاً، فصلاة التراويح سنّة، والمشار إليه في حديث: (من سنّ في الإسلام) هي الصدقة وهي أمر مشروع.

وبهذا نكون قد عرّفنا مراد كل من الفريقين، وإن كنا لم نأت على معظم أدلّتهم ولم نتوقف عند مناقشة بعضهم لأدلة البعض الآخر؛ كما أننا لم نستقص كل من كان مع أي من الفريقين ممن تعرض لهذه المسألة من أهل العلم، فالمقام هنا إنما هو لتعريف البدعة، والكلام على قدر ما يتضح به معناها.

(١) سبق تخريجه، انظر ص ٤٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة، مع النووي ١٠٣/٧ - ١٠٤.

(٣) انظر: الاعتصام ١٧٨/١.

(٤) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ٢٢١ - ٢٢٢.

(٥) انظر: الفتاوى ٣٧٠/١٠.

